

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[421] الطريق المؤدّي إلى الله (ما أنتم عليه بفاتنين) (1) إلاّ أولئك الذين يريدون أن يحترقوا في نار جهنّم (إلاّ من هو صالح الجحيم). هذه الآيات - خلافاً لما يتصوره أتباع مذهب الجبر - دليل ضدّ هذا المذهب، وهي إشارة إلى أنّّه لا يعذر أي أحد إنحرف عن الطريق المستقيم، مدّعياً أنّّه قد خدع، وإنحرافه وعبادته للأوثان بسبب هذه الوسواس، ولذا تقول الآيات المباركة، أنتم - المشركون - لا قدرة لديكم على إضلال الأشخاص وخداعهم، إلاّ إذا كان أولئك يتّجهون بإرادتهم نحو صراط الجحيم. وعبارة (صالح الجحيم) شاهد على الكلام المذكور أعلاه، لأنّ كلمة (صالي) جاءت بصيغة اسم الفاعل، وعندما تستخدم أي كلمة بصيغة اسم الفاعل بشأن موجود عاقل فإنّها تعطي مفهوم تنفيذ العمل بإرادته وإختياره، مثل (قاتل) و (جالس) و (ضارب)، إذن فإنّ (صالح الجحيم) تعني رغبة الشخص في الإحتراق بنار جهنّم، وبهذا تغلق كافّة طرق الأعذار أمام كلّ المنحرفين. والذي يثير العجب أنّ بعض المفسّرين المعروفين فسّروا الآية بالمعنى التالي: (إنّكم لا تستطيعون خداع أحد، إن لم يكن مقدّراً له الإحتراق بنار جهنّم). إن كان حقّاً هذا هو معنى الآية، فلم يبعث الأنبياء؟ ولأي سبب تنزل الكتب السماوية؟ وما معنى محاسبة ولوم وتوبيخ عبدة الأوثان يوم القيامة التي نصّت عليها الآيات القرآنية؟ وأين ذهب عدل الباري عزّ وجلّ؟ نعم، يجب قبول هذه الحقيقة، وهي أنّ الإقرار بمبدأ الجبر ضدّ مبدأ الأنبياء

_____ 1 - التركيب النحوي لهذه الآية والتي تسبقها والآخرى التي

تأتي بعدها، وكما هو مشهور كذلك، (ما) في جملة (ما تعبدون) هي (ما) الموصولة معطوفة على اسم أنّ، وجملة (ما أنتم عليه بفاتنين) خبرها. و (ما) في (ما أنتم) نافية، وضمير (عليه) يعود على الله سبحانه وتعالى، وفي مجموعها نحصل على ما يلي (إنّكم وآلهتكم التي تعبدونها لا تقدرون على إضلال أحد على الله بسببها إلاّ من يحترق بنار الجحيم بسوء إختياره). والبعض الآخر اعتبر الآية (إنّكم وما تعبدون) كلاماً تامّاً مستقلاً وتعني أنّكم وآلهتكم، ثمّ تقول في الآية التالية: ما أنتم بحاملين على عبادة ما تعبدونه إلاّ من هو صالح الجحيم.